المحاضرة الخامسة عشر : عوائق المعرفة التاريخية

تمهيد

إن معيار أي علم من العلوم إنما تتحدد بوجود موضوعا ومنهجا لهذا العلم من جهة ، وبمدى الالتزام بالموضوعية العلمية من جهة أخرى. غير أن التمايز الحاصل بين العلوم يجعل الموضوعية غير ثابتة بشكل مطلق، إذ تختلف من علم إلى آخر. إذ تكاد تكون ثابتة ومتوفرة وبشكل جلي في العلوم التجريبية والطبيعية، بينما تكون بنسبة قليلة جدا في العلوم الإنسانية والاجتماعية. فما هو السبب في ذلك؟.

1 ـ الصعوبات التي تعترض الباحث في مجال العلوم الإنسانية : لقد عرفت الظاهرة التاريخية عدة صعوبات وعوائق ابستيمولوجية، تعترض عالم التاريخ أثناء دراسته للظاهرة، وقد كان علماء التاريخ حددوا من قبل هذه العراقيل والعوائق الابستيمولوجية في عناصر مختلفة مثل عائق القيمة وعائق الايديولوجية وعائق الذاتية، وهي عوائق خاصة، غير أن العوائق العامة تكمن في:

أ ـ تعقيدات الظواهر الاجتماعية والإنسانية وتغيرها : فالظاهرة الاجتماعية والإنسانية غير ثابتة ومستقرة مادامت متصلة بالإنسان ، لأن الإنسان فيها باحث وموضوع بحث في آن واحد يصعب الفصل بين الذات والموضوع [1] ، كون أن هذا الأخير أحواله تتغير من حالة إلى أخرى ومن زمان إلى آخر وكذلك المكان الذي يعيش فيه . لذلك من المنطقي أن تتعقد هذه الظواهر مادامت غير مستقرة على حال . كما أن تشابهها سوف يؤدي إلى صعوبة تحديد الموقف من هذه الظواهر والحكم عليه ، مما يضفي في الكثير من الحالات إلى نتائج جد سلبية لا يمكن الاعتماد عليه وتصنيف الظواهر وضبطها لا سيما أنها تتأثر بالسلوك الإنساني المعقد .

ب ـ فقدان التجانس في الظواهر الاجتماعية :

---

1 ـ **جان بياجيه** : وضع لوم الإنسان في منظومة العلوم في اليونيسكو ، الاتجاهات الرئيسية للبحث في العلوم الاجتماعية ، مجلة العلوم القانونية والاقتصاد ، المجلد الأول ، دمشق ، 1976 ، ص 88 .

بالرغم من أننا نستطيع أن نصدر بعض التعميمات عن الحياة الاجتماعية والسلوك الإنساني ، فإن الظواهر لها شخصيتها المنفردة وغير المتكررة ولا نستطيع أن نسرف في تجريد العوامل المشتركة في عدد من الأحداث الاجتماعية ، لكي نصوغ تعميما أو قانونا عاما ، ولكن هذا لا يعني الاختلاف في كل المجالات .

ج ـ التحيزات والميول الشخصية :

يصعب دراسة الظواهر الاجتماعية والإنسانية دراسة موضوعية، بعيدا عن الأهواء والعواطف الشخصية، فالظاهرة الاجتماعية أكثر حساسية من الظاهرة الطبيعية ، لأنها تهتم بالإنسان كعضو متفاعل في الجماعة ، وبما أن الإنسان مخلوق غرضي يهدف إلى الوصول إلى غاية معينة، ويملك القدرة على الاختيار ، مما يساعده على أن يعدل من سلوكه، فإن مادة العلوم الاجتماعية والإنسانية تتأثر كثيرا بإرادة الإنسان وقراراته .[2]

د ـ عدم دقة المصطلحات والمفاهيم في العلوم الاجتماعية :

حيث نلاحظ الفرق في استخدام المفاهيم في العلوم الاجتماعية والمفاهيم في العلوم الطبيعية، حيث تتميز المفاهيم الاجتماعية بالمرونة والغموض وعدم الوضوح وتعدد استعمالها، لأن قوانينها نسبية ومتغيرة، تفلت من قبضة الحتمية المطلقة . في حين أن المفاهيم في العلوم الطبيعية تكون أكثر دقة وثبات .[3] لأن الظاهرة الطبيعية تخضع لقوانين ثابتة ومعقولية مطلقة، ولا يمكن أن تفلت من قبضة الحتمية، وبذلك تكون صالحة لكل زمان ومكان، تمّكن الباحث من التنبؤ بحدوثها وبنفس الكيفية والدقة المتناهية، أما الظاهرة الاجتماعية فالتنبؤ فيها أمر صعب للغاية.

هـ ـ صعوبة الوصول إلى تعميم النتائج :

ان النظريات المتوصل إليها في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية تبقى نسبية، ولا تتسم بالدقة والصرامة العلمية التي تميز العلوم الطبيعية ويعود ذلك إلى أن العلوم الطبيعية تتعامل

---

2 ـ أحمد حسن القائي و يونس أحمد رضوان : **تدريس المواد الاجتماعية** ، عالم الكتب ، 1974 ، ص 56 .

3 ـ شكري حامد نزال : **مناهج الدراسات الاجتماعية وأصول تدريسها** ، دار الكتاب الجامعي ، ط1، ، العين ، 2003 ، ص 140 .

مع مواد جامدة يمكن دراستها وتحليلها دون تحيز. أما العلوم الاجتماعية و الإنسانية فلا تنطوي على ذلك. لأن الإنسان فيها باحث وموضوع بحث ويصعب عزل الذات عن الموضوع [4].

4 ـ عبد اللطيف فؤاد إبراهيم و سعد مرسي أحمد : **المواد الاجتماعية وتدريسها الناجح** ، مكتبة النهضة المصرية ، ط1، القاهرة ، 1979 ، ص 15 .